مدخل سيكولوجية الفطرة واللغة (*)

مقـــال (22): الشيخوخة النفسية سببها فطري وليس معرفي ودور العجزة تفاقمها

د. موسى الزعبي – علم النفس / سورية – حمص
الطب النفساني، العراق / أمريكا
methqalm@yahoo.com

تعالت الأصوات الإنسانية منذ مطلع ثمانينات القرن الماضي نصرة للمسنين حتى أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة اليوم العالمي لهم مطلع التسعينات أي من قرابة ربع

لا بد من تشخيص هذه الظاهرة بشكل حقيقي وسبب تفاقمها فليس تطور الطب والصحة هو سبب طول عمر المسنين وازدياد عددهم و بالتالي تفاقهم ظاهرتهم

يشكل عدد المسنين ربع المجتمعات الغربية وسوف يصل عددهم بعد ربع قرن إلى بليونين مسن حول العالم حسب التقديرات وهذا سيشكل إرهاق للدول اقتصاديا علاوة على تعاسة هذه الفئة نفسيا نتيجة نمط الحياة المعاصر الفردي

مشكلة المسنين مفرز حضاري غربي نتيجة تبني مفهوم الفردية بدل مفهوم الأسرة ومفهوم المجتمع والواقع بدل مفهوم الفطرة فأصبحت الحياة الفردية وإشباع نزوات الفرد باسم الحقوق الطبيعة للإنسان اي الغرائز الترابية المادية هي غاية فلسفة الحياة بالغرب مما سلع الإنسان وشيئه حتى أصبحت قيمته حسب العرض والطلب

يطل علينا بكل عام الأول من أكتوبر كيوم عالمي للمسنين وهو لا يختلف عن غيره من أيام عالمية كعيد الأم وعيد العمال وغيرها .. وغاية ذلك تسليط الضوء على تفاقم تلك الظاهرة لإيجاد حل لها حيث تعالت الأصوات الإنسانية منذ مطلع ثمانينات القرن الماضي نصرة للمسنين حتى أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة اليوم العالمي لهم مطلع التسعينات أي من قرابة ربع قرن وهنا لا بد من تشخيص هذه الظاهرة بشكل حقيقي وسبب تفاقمها فليس تطور الطب والصحة هو سبب طول عمر المسنين وازدياد عددهم و بالتالي تفاقهم ظاهرتهم حيث يشكل عدد المسنين ربع المجتمعات الغربية وسوف يصل عددهم بعد ربع قرن إلى بليونين مسن حول العالم حسب التقديرات وهذا سيشكل إرهاق للدول اقتصاديا علاوة على تعاسة هذه الفئة نفسيا نتيجة نمط الحياة المعاصر الفردي فمشكلة المسنين مفرز حضاري غربي نتيجة تبني مفهوم الفردية بدل مفهوم الأسرة ومفهوم المجتمع والواقع بدل مفهوم الفطرة فأصبحت الحياة الفردية وإشباع نزوات الفرد باسم الحقوق الطبيعة للإنسان اي الغرائز الترابية المادية هي غاية فلسفة الحياة بالغرب مما سلع الإنسان وشيئه حتى أصبحت قيمته حسب العرض والطلب وعندما يفقد قواه ومكانته المهنية والاجتماعية تنخفض قيمته وينخفض تقدير ذاته ثم يبدأ بجر الأحزان والأفكار السلبية على ماضي لن يعود منتظرا موته الحتمي مما يستنزف مواد السعادة لديه فيدخل باضطرابات نفسية متنوعة على رأسها الاكتئاب والقلق والشكاوي الجسدية النفسية المتنوعة بينما يبقى مفهوم الذات معرفيا أثبتت لا يتغير ...

ولتفسير سبب هذه التحولات بمرحلة الشيخوخة طرحت عدة نظريات **كنظرية الارتباط ونظرية النشاط** اي بسبب تغير محيط المسن وانخفاض انتاجيته سبب هذه الظاهرة وحدد اورن بيك أزمة الشيخوخة بثلاث محددات معرفية وهي أزمة الهوية وإعادة إنتاج الهوية والبحث عن السعادة وتقبل الموت وانتظار المصير المجهول للإنسان ما بعد الموت ووجهة بيك هي بسبب مبدأ الواقع وان الإنسان كائن اجتماعي وقيمته تأتي من محيطه الاجتماعي وما يقدمه وأنه لا حياة غير هذه الحياة الفانية والحقيقة أن مفهوم الذات يكون تبلور وتكلس بمرحلة الشيخوخة والخلل يكون بتقدير الذات.

فالإنسان كائن فطري قبل ان يكون كائن اجتماعي مكرم من قبل خالقه لانسانيته فهو خليفة الله بالأرض وبعد الموت سيعود لخالقه الرحيم وليس لمصير مجهول فالحيل المعرفية لا يمكن تطمس الغرائز الفطرية للمسن التي تبقى تذكر الانسان بأصله ونهايه حتى يشبعها بشكل سوي وفق محددات فطرية ثلاثة تحقق السواء النفسي له وتقلل من استنزاف مواد السعادة لديه التي تفرز ضمن مقادير محددة مع العمر تكفيه للتغلب على الأفكار والمشاعر السلبية ضمن الحدود

الطبيعية فقط

فالمسن الذي تتكلس أبنيته المعرفية بهذه المرحلة من العمر من الصعب إعادة كوثرتها لأنها تسبب الذعر والخوف للمسن الذي يسعى للحفاظ على تراتبية الحياة بأبسط الأشياء كمكان سريره وشكل الكأس التي يحتسي بها الشاي مثلا ...خشية غياب الأمن فيصاب بظاهرة العناد التي تعتبر آلية دفاع نفسية سوية وليس ظاهرة مرضية وعلى المحيط العمل على مجارات المسن وعدم مجادلته حتى لو بكلمة لأنها تسبب رض لأبنيته النفسية المتكلسة وعواقب سيئة وعلاج هذه الظاهرة ليست بدور العجزة والتأهيل بل بإغلاقها وتعزيز مفهوم الفطرة بدل مفهوم الواقع فالمسن الذي يبقى بوسطه الاجتماعي والأسري لا تظهر عليه الاضطرابات النفسية كثيرا وبعض الدراسات أثبتت أن ترتيب زيارات متكررة للمسن من قبل ابنائه واسرته يشفي نصف المرضى المكتئبين ويخفف شدة بقية الاضطرابات وكما يقال الوقاية خير من العلاج وذلك بالتركيز على بناء شخصية الإنسان وابنيته النفسية على مبدأ الفطرة بمحدداتها كافة منذ نهاية الطفولة وبداية البلوغ وماهية حقيقة الإنسان الفطرية وقيمته حتى تكون نفسه وابنيته المعرفية الفطرية دائمة التكوثر على مدار مراحل عمره المختلفة بهذه الحقيقة الفطرية وأن قيمته مستمدة أولا وقبل كل شي، من كونه إنسان وليس من محيطه وانتاجيته رغم قيمة هذه الامور ولكن لا تطغى على حقيقته الأساسية وبذلك يدخل مرحلة الشيخوخة بكامل قواه النفسية دون أن يؤثر فيه فقد الأقارب والتقاعد وغيره وختاما فليس ظاهرة المسنين تعتبر حتمية على كل مسن بل تصيب قسم من المسنين فهناك فروق بيولوجية ووراثية وعلاج هذه الظاهرة يكون حسب طبيعة وثقافة كل مجتمع بالريف غير المدينة وبالمجتمعات المتدينة غيرها بغير المتدينة ولا يزال عالمنا الإسلامي يكرم كبيره ويبر والديه ويعطف على صغيره وما أخشاه هو اللوثة التي أصابت أخلاق وكرامة البعض وذلك باعتبار ظاهرة دور العجزة ورمي المسنين فيها ظاهرة تقدمية وحضارية لرفع تقدير ذاتهم المشوهة وكذلك بعض المعالجين النفسيين اللذين يعملون كحاطب ليل وذلك بإحلال العلاج المعرفي المستورد بكل إشكالاته بدل العلاج الفطري ولا شك بالنهاية ان العلاجات الدوائية تسعف حياة من أصيب بداء المسنين النفسي حتى يمضي بقية حياته بأقل تعاسة ولكن يبقى العلاج وفق مبدأ الفطرة هو العلاج الأنجع للمريض والعاملين بالمجال النفسي وللدولة من حيث الفائدة والعبء الاقتصادي وبقاء المسن ببيئته يبقى أية ونمط تعليمي تذكر الانسان بحقيقته الفطرية فيستعد لها نفسيا وعقليا فمبدأ الفطرة على النقيض من مبدأ الواقع يجعل الإنسان يتوق ويشتاق للقاء خالقه بعد الموت وليس أسير حتمية اجتماعية وماضوية يجر ذكراها كل يوم أو مستقبل مظلم بعد الموت ليخفف من آلامه المتجرعة كل يوم ...

فقيمة الإنسان تزداد مع تقدمه بالعمر وليس تنقص مهما عصفت به ظروف الحياة وذلك لو استطعنا استثمار ذلك أخلاقيا وعمليا وكل عام وكل مسن بألف خير

لتفسير سبب هذه التحولات بمرحلة الشيخوخة طرحت عدة نظريات كنظرية الارتباط ونظرية النشاط اي بسبب تغير محيط المسن وانخفاض انتاجيته سبب هذه الظاهرة

حدد اروين بيك أزمة الشيخوخة بثلاث محددات معرفية وهي أزمة الهوية وإعادة إنتاج الهوية والبحث عن السعادة وتقبل الموت وانتظار المصير المجهول للإنسان ما بعد الموت

الإنسان كائن فطري قبل ان يكون كائن اجتماعي مكرم من قبل خالقه لانسانيته فهو خليفة الله بالأرض وبعد الموت سيعود لخالقه الرحيم وليس لمصير مجهول

الحيل المعرفية لا يمكن تطمس الغرائز الفطرية للمسن التي تبقى تذكر الانسان بأصله ونهايه حتى يشبعها بشكل سوي وفق محددات فطرية

المسن الذي تتكلس أبنيته المعرفية بهذه المرحلة من العمر من الصعب إعادة كوثرتها لأنها تسبب الذعر والخوف للمسن الذي يسعى للحفاظ على تراتبية الحياة بأبسط الأشياء كمكان سريره وشكل الكأس التي يحتسي بها الشاي مثلا .

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.ZoobiGerootoPsy.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com